



علماء الفكر والدين في المغرب الأوسط ودورهم في تنشيط الحياة العلمية

في القرنين 4 و 5 هجريين / 10 و 11 ميلاديين

Scholars of thought and religious in the middle maghreb and their role in
revitalizing scientific life in the 4th and 5th centuries ah/10th and 11th ah

أحمد شريفي

Ahmed cherifi

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

dr.A.cherifi@gmail.com

محمود سايح

Mahmoud sayah

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

mahmoud.sayah@univ-alger2.dz

الملخص:

تطرق الموضوع بصفة جوهرية لمظاهر الحياة العلمية في القرنين 4 و 5 هجريين 10 و 11 ميلاديين ، حيث اتسمت بقفزة علمية وخصوبة فكرية في حواضر المغرب الأوسط تهرت وتلمسان وطبنة وبجاية والقلعة الحمادية وغيرها؛ وسلط الضوء على جانب من التفاعل الحضاري كان لعلماء الدين والفكر دور في إثرائه جراء انتهاجهم سياسة صائبة وسليمة كبناء المساجد وإقامة حلقات للتدريس والاعتناء بعلوم القرآن والحديث والفقه واللغة، إضافة إلى تنوع الرحلات التي قاموا بها تجاه المغرب والمشرق؛ قد تنوعت أهدافها ومقاصدها وأسبابها وأنتجت توافدا وترباطا علميا وثقافيا كونت من خلاله مظهرًا من مظاهر الحضارة الإسلامية العربية، وازدهرت الدراسات والعلوم فأينتعت ثمارها في حينها و القرون التي بعدها.

الكلمات الدالة : علماء الفكر والدين، حواضر المغرب الأوسط، الحياة العلمية، القرنين 4 و 5 هـ / 10 و 11 م، الدولة الحمادية.

Abstract

This subject dealt fundamentally with the aspects of scientific life in the 4th and 5th centuries AH which was characterized by a scientific leap in the metropolises of Central Maghreb, such as Tehert, Tlemcen, Tabna, Bejaia, kalaa, and others. It highlighted an aspect of civilized interaction that was enriched by scholars in building mosques and establishing seminars for teaching the sciences of Qur'an, hadith, jurisprudence and language. They also organized different trips to the Maghreb and the East. This produced scientific and cultural communication and interdependence, just as Islamic studies flourished, which produced results immediately and in the centuries that followed.

Keywords. scholars of religion and thought, metropolises of the Middle Maghreb, scientific life, the 4th and 5th centuries AH / 10th and 11th AD, Hammadi state.

مقدمة:

اتسمت الحياة العلمية والفكرية في القرنين 4 و5 هـ / 10 و11 م بقفزة علمية وخصوبة فكرية في حواضر المغرب الأوسط، حيث أدت إلى تفاعل حضاري في المشرق والمغرب، إذ كان لعلماء الدين والفكر دور في إثرائها جراء انتباههم سياسة صائبة وسليمة كبناء المساجد وإقامة حلقات للتدريس والاعتناء بعلوم القرآن والحديث والفقه واللغة وسائر العلوم العقلية والنقلية، إضافة إلى تنوع الرحلات التي قاموا بها تجاه المغرب والمشرق خاصة في هذين القرنين السالفي الذكر، اللذين بلغ فيهما الأدب الجغرافي العربي الإسلامي ذروته وشكل أدب الرحلات مصدرا هاما من مصادر المعرفة حيث تنوعت أهدافها ومقاصدها وأسبابها وحواضرها مما أدى إلى تواصل وتربط علمي وثقافي، وكونت مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية العربية، كما ظهر في هذه الفترة المدروسة في المغرب الأوسط حدثان بارزان كان لهما الأثر البارز في تغيير المسار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعلمي وهما: إعلان القطيعة مع القاهرة الإسماعيلية والإعلان الروحي للخلافة العباسية، والتشريع بالمذهب المالكي الذي أدى في النهاية إلى انتشار مذهب إمام دار الهجرة في كامل بلاد المغرب الأوسط وإلى تراجع التيارات الأخرى، كما سمحت هذه المرحلة بتأسيس عدة مراكز ثقافية مثّلتها على الخصوص الدولة الحمادية في كل من القلعة و بجاية، وجزائر بني مزغنة و تهرت وتلمسان وأشير وطبنة وغيرها. فبرزت لنا الإشكالية التالية:

ما هو الدور الحضاري الذي لعبته حواضر المغرب الأوسط؟ وتفرعت عنها تساؤلات:

فيما تمثل دور العلماء في بناء الحركة الفكرية في هذه الحواضر؟

وما هو الدور الذي قام به الحكام في بناء المؤسسات التعليمية و استقطاب العلماء؟

وعوامل ازدهار الحياة العلمية؟ ماهي أهم المؤسسات التعليمية البارزة؟ وأهم العلوم التي ظهرت؟

أردت أن أبين من خلال هذه الدراسة انعكاس الدور الذي قام به هؤلاء الجهابذة من العلماء على النضج العلمي واكتمال نمو الشخصيات العلمية في المغرب الأوسط ومظاهر هذه الخصوبة الفكرية ومدى تأثيرها وتأثرها مشرقا ومغربا، واستعملت المنهج الصفي التحليلي لخدمة للموضوع.

تناولت في هذا البحث بداية أهم الحواضر العلمية آنذاك وأهم الدويلات الإسلامية التي ظهرت في هذه الفترة المدروسة في المغرب الأوسط وأشهر العلماء في كل دولة وانتمائهم لبلدانهم وحواضرهم ووجهاتهم مشرقا ومغربا واستقطابهم للعلماء من خارج المغرب الأوسط وكيف كان للتواصل العلمي أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها؛ مما أدى إلى ازدياد النشاط العلمي بصورة متنامية، كما خدم الموضوع دراسة إحصائية لمعرفة الأصول الاثنية والجغرافية للعلماء وأعدادهم وأجناسهم، واستعنت بعدة مصادر ومراجع أثرت الموضوع سأوردها في حينها.

إن جل المصادر التاريخية تتكلم في معظمها على الفتوحات والفتن والحروب خاصة في القرون الأولى للفتح الإسلامي وأهملت الجانب العلمي والديني والأدبي. غير أنه يمكن تسجيل نتف لعلماء الدين الذين دخلوا مع الفاتحين للمغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً والفقهاء العشرة والبعثة العمرية التي قام بإرسالها عمر بن عبد العزيز لإفريقيا والمغرب ليفقهوا أهلها، وعلماء آخرون في القرون التي تلتهم أبدعوا سنفسح اللثام عنهم .

1. قبيل القرن الرابع الهجري: ممّا تجدر الإشارة إليه أن الحركة العلمية الدينية في المغرب الأوسط قد بدأت قبل القرن الرابع بزمان ليس بقصير فقد سبقت الدولة الحمّادية والفاطمية ودولة المرابطين الدولة الرستمية، حيث برز آنذاك علماء ومفكرون كبار أمثال :

عبد الرحمان بن رستم ت (171هـ/787م) الذي يعتبر مؤسس أول دولة إسلامية جزائرية مستقلة من فقهاء الإباضية، ورستم : أفلح بن عبد الوهاب من أئمة الرستميين كان حازماً فقيهاً كاتباً 240هـ / 854م .

والشيخ بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الشيخ أبو محمد قاضي من أكابر فقهاء الإباضية في تيمرت، وكذلك التاهرتي عبد الله بن اللّمضي التاهرتي متكلم من فقهاء الإباضية (ق3هـ/9م) ، كما نبغ علماء

منهم : التاهرتي، محمود بن بكر التّاهرتي متكلم من كبار فقهاء الإباضية، ومنهم الهواري ، كان حياً (240هـ) هو محكم الأوراسي الهواري قاضي من أكابر علماء الإباضية وغيرهم ...

في ظل هذا الواقع نمضي قدماً في بحثنا في الفترة الزمنية المدروسة بدءاً بالدولة الرستمية التي تعد أول دولة جزائرية مستقلة فنجد حركة علمية ودينية وذلك نتيجة لتشجيع الحكام ، وجلب المؤلفات والكتب من المشرق بالإضافة إلى إنشاء المؤسسات التعليمية وتشجيع الحركة العلمية¹ . كذلك إقامة حلقات للعلم في المساجد . سواء للحديث أو الفقه أو غيرها بتميرت² .

كما اهتموا بإنشاء المكتبات العلمية مثل مكتبة المعصومة فهذه النهضة العلمية وخاصة في الجانب الديني لا بد أن تواكبها نهضة في المجال العلمي ومن ضمن المؤسسات التعليمية توجد المساجد، الكتّاب، المكتبات³ . فحملت الدولة الرستمية مشعل الحضارة والعلم فنشطت ، ممّا أهلها أن تكون مركزاً ثقافياً خلال القرن الثالث هجري (3هـ/9م).

2. القرن الرابع والخامس هجريين / العاشر والحادي عشر ميلاديين مرحلة الازدهار الثقافي والديني :

حفلت حواضر الجزائر في هذين القرنين الرابع والخامس هجريين وهي: المسيلة المحمّدية وطبنة والقلعة و بجاية و تيمرت وأشير ، وغيرها بثلة من علماء الدين والفكر، منهم على سبيل المثال :

البسكري⁴ ، يوسف بن جبارة مقرئ متكلم ت (402-465هـ / 1012-1073م) ، البوني ، مروان بن علي الأسدي القطان⁵ . فقيه ، مفسر وحافظ ت (439هـ-1047م) ، التاهرتي ، بكر بن حمّاد بن سهل عالم بالحديث ورجاله وفقهه ، و الدّاودي عالم من أئمة المالكية بالمغرب أصله من المسيلة وقيل من بسكرة، وابن مليح وابن النّباش

البجائيين في مجال الطب، وعلي ابن أبي الرجال التّاهرتي، وعلي بن معصوم بن أبي ذر القلعي في الفلك والحساب

3. أسباب الخصوبة الفكرية : اتسمت هذه الفترة بتحويل سياسي ومذهبي فقد تميز القرن الرابع من الناحية السياسية بالاضطراب العقدي خاصة عهد الدولة العبيدية وأول عهد بني زيري ، وذلك بما لحق من اضطهاد للمجتمع السنّي وعلمائه حيث ألحق بهم العبيديّون الأذى الكبير وحاولوا إجبارهم على التشيع ردحا من الزمن . وهنا يذكر جملة من الكتّاب والأساتذة فيقولوا : " كما أن جهات المغرب الأوسط بأكملها أصبحت شيعية ومناطق أخرى ظلت على مر العهود سنّية " ⁶ . فنستطيع القول أن هذه الفترة كانت حرب بقاء عقدي وفكري بالنسبة لعلماء السنة .

1.3. في المغرب الأوسط : آل مصير العبيديّون إلى الفشل في التأثير على أهل المغرب الأوسط لإصرارهم إتباع السنة والمذهب المالكي، ويذكر مبارك الملي : قد عرف أهل المغرب أولا مذهب أبي حنيفة ثم ظهر مذهب مالك في القيروان والأندلس ودخل الجزائر من هاتين الجهتين وحمل عليه الناس المعز بن باديس وقطع ما سواه من مذاهب السنة وغيرهم هذا في الفروع، أما في الاعتقادات فلم يزالوا سلفيين يترضّون عن جميع الصحابة وكان الناس يقرؤون بقراءة حمزة لا يعرف قراءة نافع إلا الخواص إلى أن جاءهم برواية ورش عن نافع محمد بن محمد بن خيرون الأندلسي نزيل القيروان توفي سنة 356 ⁷ .

2.3. عوامل ازدهار الحياة العلمية: أسس علماء وحكام الجزائر و الحمّاديون بالخصوص على اعتبار أنهم في الفترة المدروسة ، المؤسسات التعليمية من مساجد و زوايا ومدارس، فكانت المجال الخصب لازدهار هذه العلوم كلها ونجح العصر الحمادي أن يقدم في مجال العلوم الشرعية عددا من العلماء في سائر الفروع .

1.2.3. العامل الاقتصادي : أجمعت المصادر التاريخية والجغرافية على أن الاقتصاد في الدولة الحمادية كان مزدهرا على الرغم من تأثره في بعض الأحيان بالأحداث السياسية ، ويتمثل هذا الرفاه والرخاء الاقتصادي في أن القلعة عرفت رفاهية فكانت ملتقى للتجار و بها تحطّ الرحال من الحجاز والعراق ومصر والشام وسائر بلدان المغرب الإسلامي ، وربما حتى من بلاد السودان ⁸ .

2.2.3. العامل الاجتماعي:اجتمع في الدولة الحمادية الكثير من الفئات المختلفة الأجناس والأفكار فإلى جانب السكان الأصليين من البربر من قبيلة كتامة وبعض بطونها والقبائل العربية خاصة بني هلال، وفدت إلى بجاية أعداد كبيرة من الأندلسيين الذين لجأوا إلى بلاد المغرب بعد أن دبّ الضعف بين المسلمين، وازدياد حركة الاسترداد، واختاروا بجاية لأنها كانت مركزا حضاريا رائدا، وأن هؤلاء الأندلسيين نقلوا معهم تراثهم الفكري والحضاري، وكان من بين الوافدين رجال العلم والثقافة ، كما استوطنت بجاية جاليات مسيحية وأخرى يهودية وقد ساهمت الجاليات اليهودية في إثراء الحياة الثقافية، خاصة أنه كان من بينهم أطباء وأدباء وصيادلة ورجال فكر. لقد كان لهذا التنوع الاجتماعي دور كبير في التفاعل الثقافي فتنوعت مشارب الثقافة ومنابعها خاصة وأن الحرية الفكرية والدينية كانت متوفرة في بجاية والدليل أن الحماديين سمحوا ببناء دور للعبادة ككنيسة العذراء

3.2.3. العامل السياسي: ساهمت الجهود السياسية والمتمثلة في سعي الأمراء الدؤوب في العمل على نشر الأمن والاستقرار في مختلف أرجاء الدولة، فقد قام الناصر بن علناس (454هـ – 461هـ) في إخماد الثورات كالثورة التي أشعل فتيلها سكان مدينة بسكرة ببلاد الزاب عندما خلعوا الطاعة وأرادوا الانفصال عن الدولة¹⁰، و ما قام به بعده المنصور من القضاء على ثورة بني توجين .

3.3. دور الحكام في تنشيط الحياة الفكرية: دخل الإسلام إلى المغرب وانتشرت الثقافة العربية الإسلامية في حواضره مثل القيروان وطنجة وتلمسان و تيمرت ويرجع الفضل في ذلك إلى الولاة ثم الأمراء الذين دفعوا بها إلى الأمام بحيث لم يأت عهد الحمّادين إلا و أصبحت البلاد تنافس المشرق والأندلس في جميع مشارب هذه الثقافة الفكرية منها ، العلمية والأدبية والفنية¹¹ .

إننا نجد في حواضر الجزائر قبل الحمّادين حركة علمية ثقافية ودينية في عديد من حواضرها كما هو الحال بالنسبة للمسيلة فقد كان أمراؤها لا يقلّون علما وفقها عن علماء الدّين ونذكر في هذا المقام أمير المسيلة (جعفر بن علي) المعروف بابن الأندلسي وأمير الزّاب وقد قال عنه ابن خلكان أنه كان سمحا كثير العطا مؤثرا لأهل العلم وقد مدحه الشاعر بن هانيء بقصائد بليغة منها :

خليلي أين الزاب منا وجعفر وجنة عدن بنت عنها وكوثر
فقبلي نأى عن جنة الخلد آدم فما راقه من جانب الأرض منظر
خليلي ما الأيام إلا لجعفر وما الناس إلا جعفر دام جعفر¹² .

أما أمراء بني حماد فقد كان لهم شأن في ذلك، ويظهر من خلال اهتمامهم ورعايتهم وتشجيعهم للعلماء والمفكرين، فقد كانوا يؤثرون العلماء على سائر الطبقات و يقدمونهم في الدولة ويجودون عليهم بالعطاء و كذا اهتمامهم بالتعليم في جميع أطواره ، وقد أوجد الناصر بن علناس في بجاية معهد سيدي التواتي الذي حوى ثلاثة آلاف طالب وكان يدرس فيه كل المواد¹³ ، كما أوجدوا ما يعرف بالاختصاص فكانوا يجتهدون في التخصص في العلوم¹⁴ .

ويذكر ابن قربة أن الحمّادين لم يضعوا أمام العلماء وغيرهم من علماء الأندلس وأدبائهم المهاجرين إلى بلاد المغرب الأوسط أية عوائق تعوق إقامتهم في ربوع الدولة الحمّادية فتمتعوا بكل المميزات التي كان يتمتع بها نظرائهم من علماء المغرب الأوسط¹⁵ .

ويمكن القول أن الجزائر في ظل الوحدة السياسية من قبل العبيديين ورغم الصراع المذهبي الذي عاشته المنطقة إلا أنه في مجمله صبّ في بوتقة ازدهار وتنافس علمي وفكري وفقهي بين علماء الجزائر ومن الجدير بالذكر أن سكان المغرب الأوسط الحمّادي من شيعة وسنة و إباضيين ومسيحيين ويهود كانوا مثقفين رغم اختلافهم في المذاهب والعقائد¹⁶ .

4. قيام المراكز الحضارية في بلاد المغرب الأوسط :

قامت بهذا الإقليم مراكز حضارية هامة لا تقل أهمية عن المكانة الحضارية لمراكز المشرق الإسلامي وغربه فأخصب فيها الفكر وتطورت الحياة الاجتماعية والاقتصادية مما أدى إلى إبداع في كل المجالات .

ازدهرت الدراسات الدينية وسائر العلوم العقلية ابتداء من مطلع القرن 5 هـ 11 م في قلعة بني حماد و بجاية باعتبارهما عاصمتين بصفة متوالية للدولة الحمّادية ولعائلات الدول الإسلامية الأخرى بعدها . والتي استقطبت رجال الفكر والدين من بلاد المغرب الأوسط أمثال : تلمسان و قسنطينة وبسكرة وحتى الوافدين من المشرق الإسلامي ومغربه والأندلس فزاروا هذه البلدان وأقاموا بها وأخذوا عن علمائها ومفكرها فاثروا فيها وتأثروا ، فأفادوا واستفادوا وما كان قدومهم إلا نتيجة لانتشار الأمن والاستقرار والتمدن الحضاري والوضع الاجتماعي والاقتصادي إضافة للمناخ المعتدل والجيد وكثرة مراكز الإشعاع الفكري والعلمي والديني وانتشار مجالس العلم والمعرفة .

1.4. القلعة : كانت أول خطوة خطاها المؤسس حماد بن بلكين في سبيل تعمير مدينته الناشئة، أن نقل إليها سكان مدينتي المسيلة وحمزة بعد أن خربهما وحلت بها كذلك قبيلة جراوة ، وهكذا فتح أبواب مدينته على مصراعها لكل الراغبين في الاستقرار بها.

وبإلغاء حماد للمذهب الشيعي وإتباع المذهب السني الذي أدى إلى تقريب أهل العلم والفقهاء والأدباء فيما بينهم ، كما أنها أصبحت حافلة بالعلماء والأدباء والطلاب الوافدين إليها من كل ناحية ، وخاصة علماء القيروان الذين غادروها عند دخول بني هلال وبني سليم إليها ¹⁷ ، كما ساهم احتكاك الحماديين بالأفارقة وغيرهم في تحقيق التفاعل بين الثقافات مما ساعد في تشكيل الملامح الأساسية للشخصية الثقافية والفكرية بالقلعة وازدهارها ورقمها، ¹⁸ هذا و نقل محمد بن بلكين عددا كبيرا من التلمسانيين إثر إغارته على الناحية الغربية موطن زناتة سنة (454هـ/1062م)، وبذلك برزت مساهمة علماء تلمسان في نهضة الثقافة في الدولة الحمّادية ¹⁹ ، وقد ساعدت هجرة الأعراب الهلاليين على ازدهار الحركة العلمية، رغم الأعمال التخريبية التي قاموا بها ، حيث أثرت لغة اللسان لقبائل بني هلال في اللسان البربري ²⁰ ، و يذكر مبارك الملي، أن ما نتج من هجوم الهلاليين ليس ناشئ عن عداوة جنسية أو عرقية أو قسوة حربية ، لذلك اختلطوا بالبربر وأخذوا عنهم عوائد اجتماعية وأخلاقا فاضلة واستعرب كثيرا منهم لما وجدوه في العربية من ثروة لفظية وأدب راقٍ وإعانة في فهم الدين ²¹ .

هذا وقد اهتم عصر الحماديين بترقية مظاهر الحضارة كما اهتموا بتأسيس المساجد والمدارس والمعاهد واعتنوا بها ، فكانت هذه الفترة مرحلة نمو وإشعاع وإخصاب الفكر العربي الثقافي والفكري، فاستطاعت هذه الدولة أن تنهض بالعلوم والمعرفة وتتيح للعلماء والشعراء والأدباء المناسبات التي تمكنهم من إثراء إنتاجهم الفكري واعتنى حكامهم بالعلم وأهله ، فهضت الثقافة والعلوم على أيديهم نهضة كبيرة انطلقت منها حركات فكرية ودينية وسياسية امتد تأثيرها بلدان المشرق والمغرب .

2.4. مركز بجاية الحضري :

لعبت بجاية دوراً هاماً في الميدان الحضاري خاصة الجوانب الفكرية والثقافية . وهي التي تم تأسيسها بداية النصف الثاني من القرن 5 هـ (460 هـ / 1067 م) على يد الأمير الناصر بن علناس الحمّادي بعد أقول نجم قلعة بني حماد.

1.2.4. رواد الفكر والثقافة في مركز بجاية الحضاري : شهدت بجاية نهضة علمية وفكرية دينية وثقافية خلال العصر الحمّادي والعصور التي تلتها،²² ويذكر المؤرخون أن انتعاش الحياة الفكرية في بجاية ليس وليد القرن 6 و7 هجريين ، إنما هو ازدهار ثقافي ، منذ العهد الحمّادي²³ ، وقد ذكر الغبريني في هذه الفترة في كتابه عنوان الدراية ما يزيد عن مائة من شيوخه منهم على سبيل المثال: أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي، وأبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي الملقب ب(أبي حامد الصغير)، وأبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن حسين بن سعيد بن ابراهيم الأزدي الإشبيلي.²⁴ وقد قامت بها مدارس ومعاهد علمية ذات شهرة ومساجد جامعة وزوايا صوفية عريقة نبغ بها علماء أجلاء لهم رأي في الشريعة الإسلامية ومحدثون أمناء ومدققون ومحققون في الرواية والسند وفقهاء وأصوليون وحفاظا للقرآن الكريم وكتّاب السير وقضاة ومفتين تجاوزت شهرتهم الجزائر وبلاد المغرب والمشرق ، تركوا بصماتهم في كل جوانب الفكر والحياة العلمية والدينية وكثرت المؤسسات العلمية والدينية²⁵ . واستقطبت طلاب من كل حذب وصوب ، حتى من إيطاليا ينزلون لبجاية ليتعلموا.

ويذكر الطمار أن الناصر بن علناس أسس مدينة بجاية واختطها سنة 460 هـ / 1067 م ثم انتقل إليها وسماها الناصرية وأقام بها من أسباب الحضارة ما لم ير مثله شرقاً ولا غرباً ، وأسس المدارس والمعاهد وأمر أن توزع المنح على العباقرة والمبرزين في كل فن فازدحم على تلك المعاهد العلماء والحكماء والأطباء والشعراء وأهل الفنون ، وأمّ بجاية والعواصم الأخرى الكثير من علماء الأندلس والشام ومصر والحجاز والعراق والعجم فاستفادت الجزائر من علومهم.²⁶

وكان يجتمع على المدرس الواحد ما ينيف عن مائة طالب ولا فرق في ذلك بين المسلم وغيره. وبجاية تعلم الرياضي المهندس (ليونارفيوننتشي) العلوم الرياضية وخاصة منها علوم الجبر والمقابلة وأدخلها إلى أوروبا التي كانت خالية وقتئذ من العلم والعلماء.²⁷

3.4. إقليم ريغ : يقع بقرب قلعة بني حماد بالمغرب وقلعة بني حماد هي أشير... وقال أبو طاهر بن سكيّنة سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الزناتي الضهير بالثغر يقول: حضرت هارون بن النضر الريغي في قراءة كتاب البخاري والموطأ وغيرها عليه ، وكان يتكلم على معاني الحديث وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ورأيت يقرأ كتاب التلقين لعبد الوهاب البغدادي في مذهب مالك من حفظه كما يقرأ الإنسان فاتحة الكتاب، ويحضر عنده دُوين مائة طالب لقراءة المدونة وغيرها من كتب المذهب عليه.²⁸

أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي المالكي، رحل للمشرق وسمع بالشام وبمكة وببغداد وسمع بالمغرب بكر بن حمّاد التاهرتي²⁹ . وكذلك من الراحلين أبو مروان الطنبلي وهو عبد الملك بن زيادة الله³⁰ .

4.4. مدينة طنبنة الحضارية: عرفت الحياة العلمية ازدهارا في مختلف أقاليم الدولة الأغلبية بسبب تشجيعهم للعلماء ومساعدتهم على اكتساب العلوم و تدريسها، ومن بين أقاليم الدولة الأغلبية إقليم الزاب الذي كانت تقام فيه الحلقات العلمية، هذا وقد أنجبت طنبنة عاصمة الإقليم في عصرها الذهبي الممتد من ولاية عمر بن حفص وإلى غاية تأسيس المحمدية عديد العلماء والمفكرين في اللغة والأدب ومختلف العلوم³¹.

كما كان علماء طنبنة يزاولون ويتلقون تعليمهم الأول بمسقط رأسهم طنبنة، ثم يتنقلون إلى القيروان أو المشرق لإكمال تعليمهم ومن ثمة اشتغلوا بالتدريس أو بتولي المناصب أيام الأغالبة، هذا وقد ذكر القاضي عياض في مداركه أن ابراهيم الطيني كان شريكا لسحنون ابن سعيد في القضاء بالقيروان³²، وهذا يدل على مكانة علماء طنبنة.

5.4. مدينة أشير: قرر زيري بن مناد بناء مدينة أشير في أيام القائم بأمر الله سنة 324هـ، ثم أمر بإحضار البنائين والتجارين من سوق حمزة والمسيلة و طنبنة، وبعث إلى القائم في طلب الصناع، فبعث إليه بمهندس ومعماري ومواد بناء. وبعد إتمام البناء اكتظت بالأدباء والعلماء والفقهاء وأهل الحرف والتجار من مختلف أنحاء المغرب.

وباجتماع عدة ظروف أصبحت أشير عاصمة ومركزا لنفوذ قوة سياسية عسكرية ضخمة سمحت للفاطميين من بسط نفوذهم وإعادة الاستقرار للجناح الغربي من الامبراطورية³³.

5. المؤسسات العلمية والتعليمية: ازدهرت الحياة الثقافية والتعليم، وعرفت البلاد مجدها الحضاري، الفكري والعلمي ويعود هذا إلى نمو الحركة التعليمية التي ساهمت في ظهور جيل من العلماء الكبار الذين قادوا المسيرة العلمية في هذا العصر إلى الأمام، وما تميز به المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، أن التعليم كان منتشرا في مدنه وقراه بشكل واسع وبكل مستوياته³⁴.

إن خير دليل على الدور الكبير والناصح الذي لعبه شعب هذه المنطقة لنشر التعليم وغرس الأخلاق هو سردنا لقوائم المؤسسات التعليمية والعلماء والكتاب ورجال الدين والشيوخ وحفاظ القرآن ورجال التربية والتعليم³⁵.

هذا وقد كانت كل المساجد والمدارس بمثابة معاهد علمية خرّجت أجيالا من العلماء ورجال الدين والمثقفين وحفاظ القرآن في القرنين 4 و5 هـ 10 و11 م وعلى مر العصور بعدها. وسوف نركز على العلماء الذين تجاوز تأثيرهم رقعة الجزائر و بلدان الغرب إلى غيرها من أصقاع العالم الإسلامي مشرقه ومغرب.

1.5. أسباب وفود العلماء :

كانت أسباب وفود العلماء مختلفة فمنهم من جاء لإظهار مكانته لأنه لم يظهر في المشرق ومنهم من جاء للاستزاق أو التجارة ومنهم من جاء للتجسس ومنهم من جاء لأخذ العلم³⁶.

وفي هذا الصدد تقول إحدى الباحثات: بأنه رحل بعض الأندلسيين إلى المشرق وندبوا أنفسهم لتحصيل علم من العلوم والتبحر فيه، ومنهم من تقصّر رحلته فيكتفي بالرحلة إلى المغرب. "ولا شك أنه يدخل فيه المغرب الأوسط" فإذا زاد نسبيا رحل إلى مصر، ومنهم من يرحل إلى المغرب ومصر والشام والعراق وما إلى ذلك.³⁷

2.5. مناهج التعليم :

كانت مناهج تعليم الولدان في المرحلة الأولى من التعليم تهدف قبل كل شيء إلى تمكين تلك المرحلة الابتدائية من قراءة القرآن مع حفظ بعض أجزائه أو حفظه كله، ويحدد ابن خلدون السبب في ذلك بأن أهل الملة متفوقون في القول بأن القرآن يجب أن يسبق كل شيء إلى قلوب التلاميذ ليرسخ في نفوسهم الإيمان وعقائده كما أنهم متفوقون في القول بأن ذلك مما يجب أن يتم في الصغر.³⁸

كما يتضمن إلى جانب حفظ القرآن التدريب على الكتابة وإتقان التجويد والإلمام ببعض أمور اللغة والنحو والفقه ، وكان مذهب أهل المغرب والمغرب الأوسط في تلك المرحلة الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب.

أما المرحلة العالية من التعليم: فلم تعرف هذه البرامج الإلزامية المفروضة التي تقيد الطالب من حرية الاختيار³⁹ وإن كانت في مجموعها دينية في طبيعتها فاشتملت على التفسير والحديث والتوحيد والفقه.⁴⁰ وقد كانت طريقة التعليم العالي قديما تعتمد على طريقة "النقل" المتمثلة في النقل الشفاهي للنصوص عن طريق السرد من طرف الشيخ أمام تلاميذه ، أما مع بداية القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي اندمجت طريقة جديدة مع الطريقة القديمة ، وهي طريقة "الإلقاء" وتتمثل في إلقاء الشيخ بعض الأسئلة على تلاميذه ومناقشة المواضيع المطروحة في آن واحد من طرف التلاميذ وشيوخهم.⁴¹

3.5. أنواع العلوم :

1.3.5. العلوم النقلية : اتجهت الحياة الدينية إلى دراسة الأحاديث المجموعة في كتب الفروع وفقا لمدرسة الحديث التي كان إمامها (مالك بن أنس) إمام أهل الحديث بالمدينة المنورة، وكانت كتب المالكية الشهيرة كموطأ الإمام مالك والتلقين لعبد الوهاب البغدادي والواضحة لابن حبيب و العتبية للعتبي.⁴² والأسدية الذي جمعها أسد بن الفرات أو المختلطة التي جمعها في فقه المالكية أبو سعيد سحنون بن سعيد. ولم يقف علماء المغرب الأوسط عن حد الإتياع بل ظهر أعلام من الفقه مجتهدون في المذهب حيث وُجد في المدن الحمّادية الكبرى كجاية والقلعة والجزائر و تهرت و بونة علماء أجلاء يقصدهم طلاب العلم من الأندلس ومن البلاد العربية الأخرى ، كما أن بعضا من العلماء قد رحلوا إلى بلدان أخرى من العالم الإسلامي وكانت لهم شهرة بها . وشملت العلوم النقلية: القرآن وعلومه من تفسير وعلم القراءات، والحديث النبوي الشريف رواية ودراية، والفقه وأصوله .

2.3.5. العلوم اللسانية: وتتمثل في علوم النحو واللغة والبيان والأدب، وقد اتخذ بنو حماد العربية لسان الدولة الرسمي، ولم تكن الدراسات العربية جديدة عن المغرب الأوسط، فقد وجدت هذه العلوم منذ بدأ المسلمون في المغرب الإسلامي يقرؤون القرآن عن التابعين، ويهتمون بأعجامة على نحو ما فعله علما مصر والقيروان حتى دون علم النحو وظهر كتاب سيبويه ونحاة الكوفة والبصرة، وأقبل المصريون على الأخذ عنهم، وأطرد نمو هذا اللون من الدراسة حتى غمرت مصر وغاصت على غيرها من بلدان المغرب والأندلس⁴³.

3.3.5. العلوم العقلية: منها الرياضيات والحساب والطب و الفلك التاريخ والجغرافيا...سنورد بعض العلماء منهم في عنصر نماذج لعلماء في مجالات أخرى.

6. مكانة الفكر العقدي في إنتاج العلوم في الجزائر: لقي التيار الشيعي الاسماعيلي تأييد المجتمعات الريفية في قلب كتامة، وقد أدى الصراع الفكري إلى ظهور مرجعيات فقهية ساهمت إلى حد كبير في ازدهار العلوم منهم، ابن أبي زيد القيرواني ت 386هـ/ 996م، وأبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المتوفي بتلمسان سنة 402هـ/ 1012م وأبو الحسن القاسبي ت 403هـ/ 1012م. وأصبح الكتاب بمثابة الأداة الأولى لإنتاج ونقل المعارف وقد عملت الأسرة الحمادية منذ زمن مؤسسها على توحيد بلاد المغرب الأوسط عقديا وفقهيا من خلال إعلان القطيعة مع القاهرة الإسماعيلية وإعلان الولاء الروحي للخليفة العباسي ببغداد⁴⁴.

وقد تبنت المالكية المذهب الأشعري والعقيدة الأشعرية منذ أواخر القرن 4هـ / 10م، وقد كان لأبي الحسن القاسبي، وربما كذلك ابن أبي زيد القيرواني دور في التعريف به⁴⁵.

1.6. الأصول الإثنية والجغرافية لعلماء الجزائر الحمادية :

1.1.6. الأصول الإثنية:

من خلال قراءة مختلف المصادر التاريخية و البيوغرافية و الأنثولوجية التي تخص الفترة الحمادية ، تحصلنا على قائمة تتكون من 234 شخصية علمية من أجناس مختلفة :

العرب : في الطليعة حيث وصل عددهم 119، علماء البربر : لم يتجاوز عددهم 48، الأجناس الأخرى : تمثيلهم ضعيف في الفترة الحمادية .

الأفارقة : شخصية واحدة، الفرس: شخصية واحدة، الروم : شخصية واحدة، والذين لم يتم التعرف عليهم 64 شخصية علمية⁴⁶.

ويعود ارتفاع علماء العرب في بلاد البربر إلى ثلاث عوامل :

بناء مدينة المسيلة، استقرار العناصر العربية بالمدن الساحلية، التفاعل الإيجابي مع الإسلام، وبفعل الرحلات في العصر الوسيط فإن الشخصيات الواردة إلى بلاد المغرب الأوسط بلغ منها 50 شخصية من الأندلس، وأما الناشئين بالمغرب الأوسط 146 شخصية، أما الوافدين من القيروان إلى القلعة وبجاية : 21 شخصية علمية وفدوا بعد سقوط القيروان في يد القبائل الهلالية. وبعكس القرن الأول فإن الوافدين من المشرق قل عددهم

ولم يتم تسجيل إلا عالم واحد وهو: موسى بن عبد الله بن الحسين بن علي بن جعفر المعروف بابن بسام القادم من الكوفة، لأن الهجرة أخذت توجه آخر بداية من الفترة الفاطمية وأصبح المشرق المقصد الأساسي لطلاب وعلماء المغرب الإسلامي للحج والدراسة والاستقرار.⁴⁷

2.1.6. الأصول الجغرافية: فشل المغرب الأوسط و وارجلان: 146 شخصية علمية، الأندلس: 50 شخصية علمية، إفريقية: 21 شخصية علمية، المغرب الأقصى: 1 شخصية علمية، المشرق: 1 شخصية، غير محدد: 11 شخصية.

- أهم المراكز العلمية: مركز بجاية: ضم 74 عالم، قلعة بني حماد: 50 عالم، وارجلان: 18 عالم.

الجزائر: 13 عالم، المسيلة: 8 علماء، قسنطينة: 7 علماء، بونة: 6 علماء، مدن أخرى: 58 عالم.

وبالنسبة للشخصيات العلمية الحمادية التي زارت بلدان الأندلس بلغت: 15 شخصية، زاروا كل من: قرطبة

و إشبيلية والمرية ومرسية فمنهم من استقر هناك ومنهم من رجع للجزائر.

وبالنسبة للمشرق قام العلماء الحماديون: 11 رحلة، من أجل الحج وطلب العلم، خصوصا في بغداد وحلب ودمشق وكذلك القاهرة والإسكندرية.

- تخصصات النخب العلمية: فقه وأصوله، نثر وشعر، علوم القرآن، علوم الحديث، علوم اللغة، تاريخ وتراجم، كلام وعقيدة، تصوف وزهد، طب، علوم الطبيعة وعلوم الرياضيات.⁴⁸

7. النماذج الفكرية وعلماء الدين في العصر الوسيط:

إن أعلام الدين والفكر في الجزائر في عصرها الوسيط كثيرون وقد أدوا دورا رائدا في إثراء مظاهر الحضارة وقدّموا مجهودات متنوعة في علوم الدين والتشريع والأصول وغيرها من العلوم استيعابا وتديسا وتأليفا، وسنأتي على جملة منهم.

1.7. نماذج لعلماء الدين:

البسكري (402-485هـ / 1012-1073م) : يوسف بن علي بن جبارة بن محمد أبو القاسم الهذلي البسكري، مقرر متكلم نحوي، نشأ في بسكرة كان كثير الترحال في طلب القراءات المشهورة والشاذة، زار أصفهان وبغداد وسمع أبا نعيم الأصفهاني وغيره، عيّنه نظام الملك مقرئا في مدرسة نيسابور سنة 458هـ، فمكث فيها ناشرا علمه بها إلى أن توفي وقد عمي في آخر عمره، له : الكامل في القراءات ، وجاء قوله فيها: " وألفت هذا الكتاب فجعلته جامعا للطرق المتلوّة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي ك: الوجيز والهادي "⁴⁹.

البوني: كان حيا 536هـ / 1141م ، علي الترشكي البوني أبو الحسن محدث من العلماء من أهل بونة (عنابة) . رحل إلى الأندلس ونزل بالبيرة ، روى عنه القاضي أبو القاسم بن سمحون . قال : " اجتاز علينا مسافرا في البحر فتناول منه عدة كتب وأجازنا "⁵⁰.

البوني: (...439هـ/1047م) مروان بن علي الأسدي القطان، فقيه، مفسر، حافظ⁵¹.

التاهرتي (309هـ-395هـ) (962-1005م): أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز أبو الفضل، محدث، حافظ، عالم من الزهاد⁵².

التاهرتي (200-296هـ) (815-908م) بكر بن حماد بن سهل عالم بالحديث ورجاله وفقهه⁵³.

التاهرتي (ت 501هـ/1107م): الحسن بن علي بن طريف التاهرتي ذكره القاضي عياض في أسماء شيوخه وسمع من الفقهاء⁵⁴.

التاهرتي (446هـ/1054م) عمر بن ابراهيم بن مالك الأنصاري، حافظ للحديث⁵⁵.

التاهرتي: ق 4 هـ/10م: قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد التميمي محدث⁵⁶.

حماد بن بلكين 419هـ/1028م: حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي مؤسس الدولة الحمّادية بقلعة بني حمّاد وما إليها بالمغرب الأوسط، قرأ الفقه بالقيروان⁵⁷.

حمدون: 364هـ/974م جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون وقيل حمدان المعروف بن الأندلسي صاحب المسيلة وأمير الزاب، كان سمحا كثير العطاء مكثرا لأهل العلم⁵⁸.

الردائي: عتيق بن محمد أبو بكر، قال بن الجزري شيخ الإقراء بقلعة بني حماد⁵⁹.

الرمامة: (478-567هـ / 1085-1171م) محمد بن علي بن جعفر بن أحمد بن محمد الطيبي أبو عبد الله المعروف بابن الرمامة فقيه من القضاة.. ولد بالقلعة⁶⁰.

زكون بن حسن بن ابراهيم بن عبد الله بن أبي سهل (484-553هـ): حافظ عالم بالحديث ورجاله من فقهاء المالكية من تلمسان⁶¹.

الصيقل: يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن أحمد المري التلمساني أبو الحسن قاض محدث حافظ من تلمسان رحل مع أخيه موسى بعد 490 هـ للأندلس⁶².

الضبي: (... نحو 390هـ/1000م) قاسم بن موسى بن يوسف الضبيّ الجزائري محدث حافظ⁶³.

الطبي (... 390هـ) أحمد بن الحسين بن محمد الطبيّ أبو عمر محدث من أهل طبنة، قال بن الفرضي: وصل للأندلس ورحل للمشرق حاجا سنة 342هـ، توفي بقرطبة⁶⁴.

الطبي (367-401هـ): عبد الرحمان بن زيادة الله بن علي بن الحسين، متأدب، محدث ولد بقرطبة وكان أبوه انتقل إليها من طبنة. قال بن بشكوال: "كان له فضل وأدب وزهد وتنسك وروى الحديث"⁶⁵.

الطبي (قبل 412هـ): القاسم بن علي بن معاوية الطبيّ محدث فقيه رحل للمشرق⁶⁶.

عرجون بن أبي عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون التلمساني أبو محمد فقيه حافظ قاض من تلمسان⁶⁷.

النحوي (433-513هـ) يوسف بن محمد التلمساني مجتهد نحوي فقيه كالغزالي في العراق⁶⁸.

الوهراني: (... بعد 341هـ) أحمد بن أبي عون الوهراني قاض من فقهاء المالكية من وهران⁶⁹.

الوهراني (كان حيا 375هـ) سعيد بن خلف الوهراني حافظ للحديث عالم برجاله من كبار فقهاء المالكية⁷⁰.

الوهراني (... بعد 400هـ) عبد الرحمان بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني أبو القاسم يعرف بالتيجاني وبابن الخراز ، عالم بالحديث ورجالته من كبار فقهاء المالكية⁷¹.

الأشج: زكرياء بن بكر بن أحمد الغساني (310-393هـ) التاهرتي محدث فاضل⁷².

التامغلي: (... بعد 513هـ) عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي أبو محمد محدث من فقهاء المالكية⁷³.

المسيل: بن أبي شحمة أبو الوليد مروان المسيلي (ت 240هـ / 855م)⁷⁴.

الباغائي: أحمد بن علي أبو العباس (345-401هـ) من أكابر علماء المالكية في الفقه من أهل باغية حيث ولد ثم رحل للمشرق واستقر بمصر، دخل الأندلس سنة 376هـ، وجلس للتدريس بقرطبة إستأذبه المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الرحمان. وورقي إلى خطة الشورى في عهد المؤيد بالله هشام بن الحكم سنة 400هـ⁷⁵.

الداودي: أبو جعفر أحمد بن نصر التلمساني (402هـ) كان إماما فقيها ومحدثا مؤلفا له حظ من علوم اللسان، وقف ضد الشيعة العبيديين وكفر كل من يدعوا لهم على المنابر، وأخذ عنه كلا من أبي بكر بن أبي زيد القيرواني وأبو عبد الله البوني من تأليفه شرح الموطأ ، الواعي في الفقه ، النصيحة في الشرح البخاري ، كتاب في تفسير القرآن إعتد عليه عبد الرحمان الثعالبي في تفسيره : الجواهر الحسان . وله أيضا الأصول ، وغيرها، توفي بتلمسان سنة 402هـ⁷⁶.

2.7. نماذج لعلماء في مجالات أخرى:

يذكر الميلي أن كثيرا من أمراء الأغالية والأدارسة وبني عبيد وعمالهم علماء أدباء ، وعواصمهم كانت قبلة آمال أهل العلم وكعبة طلابه، فقبوا إليهم العلماء والشعراء و أنشأوا بيوت الحكمة وهي دور الكتب . وأقاموا بها الوراقين يؤدّون وظيفة الطباعة اليوم ، وأقبل الناس رجالا ونساء على العلوم والأداب لتنشيط الحكومات على ذلك، وظهر فحول الفقهاء ونوابغ الأدباء وحكماء الأطباء والمؤرخون والإخباريون والجغرافيون، وظهرت المؤلفات في العلوم الدينية واللسانية والطبيعية⁷⁷.

فمن جملة العلماء : محمد بن يوسف من أهل القرن الرابع الهجري ينقل عنه البكري كثيرا. ذكر المقرئ أيضا أنه ألف ديوانا ضخما في مسالك إفريقية وممالكها. كما ذكر ابن أبي أصيبعة: أن إسحاق بن عمران البغدادي كان طبيبا لزيادة الله بن الأغلب، وبه ظهر الطب والفلسفة بالمغرب، وكان حاذقا متميزا بتأليف الأدوية المركبة بصيرا بتفرقة العلل⁷⁸.

ومن الشعراء والكتاب الحمّادين ، علي بن أبي الرجال، المكّي بأبي الحسن من أشرف مدينة تاهرت وإن كان قد نُسب إلى القيروان لأنه عاش مدة في بلاط المعز، ومات بتونس سنة 432هـ/1040م.⁷⁹

ومثله ابن أبي الريب، أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد التميمي التاهرتي، كان أديبا متقدما خبيرا باللغة العربية ناثرا وشاعرا. لكنه رحل إلى القيروان ومات سنة 430هـ، كان يلقب بالقاضي التيمرتي.⁸⁰

ومن الشعراء البارزين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الكريم بن زكريا القلعي الأصم، من قلعة بني حماد وقد تجول في بلاد المشرق ، وله شعر جيد أورد العماد الأصفهاني نماذج منه.⁸¹ ومن هؤلاء الشعراء ، أبو محمد عبد الله بن سلامة، وأصله من بجاية ورحل إلى مصر.

وابن رشيق المسيلي القيرواني المتوفي سنة 463هـ وأصله من المسيلة وبها تلقى دراسته الأولى وتعلم عن أبيه.⁸²

محمد بن الحسين الطبي (300-394هـ): ولد بطبنة ونشأ بها من بيت أدب وشعر، قدم الأندلس سنة 331هـ/942م وسكن قرطبة، ذكر ابن بشكوال أنه وصلها سنة 325 هـ ولم يصل أشعر منه، كان عالما بالأنساب وشاعرا وحافظا للأخبار توفي سنة 364هـ/1003م.⁸³

ومن المهتمين بالعلوم التجريبية في هذا العصر و إلى جانب اهتمامهم بالعلوم الدينية واللغوية والأدبية نجد:

ابن أبي مليح البجائي: الذي كان طبيبا مشهورا، وابن النباش البجائي: المتوفي في أواخر القرن الخامس، كان طبيبا مواظبا على علاج المرضى ملما بالعلوم الطبيعية ومشاركاً في سائر العلوم الفلسفية.⁸⁴

ومن هؤلاء البارزين محمد بن أبي بكر المنصور القلعي، الذي نبغ في الطب والرياضيات والحساب وعلم الفرائض.⁸⁵

وفي علوم الفلك: اشتهر علي ابن أبي الرجال التاهرتي المتوفي سنة 432هـ، كما عُرف بأثاره العلمية الكبيرة.⁸⁶

والإمام أفلح من الدولة الرستمية والذي كان عالما بالفلك و الحساب.⁸⁷

ومن العلماء المتضلعين في الحساب، علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي عالم الحساب ، من كبار علماء الشافعية.⁸⁸ والأنطاكي الذي ولد سنة 299هـ، وأدخل علما جمّا وكان بصيرا بالعربية وبالحساب توفي بقرطبة سنة 377هـ.

8. خاتمة:

بعد ما ارتشفنا من عقب الماضي التليد وأمجاده الخالدة في ربوع هذا الإقليم الجزائري والذي عرف بالمغرب الأوسط في العصور الوسطى، وبما ضم من حواضره العريقة والدول التي تداولت عليه في القرنين 4 و5 هـ الموافق ل10 و11م، بدءا بالدولة الرستمية والدولة العبيدية والدولة الصنهاجية انتقالا إلى الدولة الحمّادية في القلعة و بجاية، وحواضره المتناثرة شرقا وغربا في ربوعه: أمثال تيمرت، تلمسان، أشير، طبنة، ووهران وبسكرة والقلعة وبجاية والجزائر المحروسة... وغيرها من الحواضر وما رأيناه من تواصل ثقافي وديني بينها وبين نظائرها بالشرق والمغرب الإسلاميين وبالدور الذي قام به هؤلاء الجهابذة من الرجال وعلماء الدين والفكر والعلوم

التجريبية من إثراء للحياة العلمية والدينية وتنشيط للحركة العلمية في شتى فروع المعرفة، فقد كان لأولئك العلماء الراحلين للمشرق والمغرب، أو القادمين للمغرب الأوسط يحملون معهم كثيرا من العلوم والمعارف المختلفة إلى جانب أعداد كبيرة من المصنفات والتأليف.

وكان لهذا اللون من النشاط العلمي والديني ثمرتان مباركتان هما ما يحمله العالم في صدره من علم ومعرفة وما ينقله معه لبلاد الجزائر من كتب قيمة . فأخذ سكان المنطقة في تلقي تلك العلوم من أفواه العلماء ومن بطون الكتب الواردة عليهم ، فازداد النشاط العلمي بصورة سريعة ومتنامية . وما فتئت أن نشأت طائفة في حواضر الجزائر نفسها تؤلف كما ألف أهل المشرق والمغرب ويتقنون العلم وينشروه . وبما أنه لم يصلنا كل ما أنتجته الحركة العلمية والدينية وبما وردنا من شح في تراجم للعلماء بالجزائر؛ بالرغم من حجم الحركة العلمية والثقافية في القرنين السالفي الذكر فذلك نتيجة للتعصب المذهبي والعقائدي الذي أدى إلى خصومات فكرية أدت إلى التضيق الفكري والكلامي وحتى الإبداعي، وكان هذا من قبل أمراء العبيديين خلال حكمهم للمنطقة مما أزهق أهل السنّة ومنعوا الناس من تداولها كما فعلوا بكتب أبي محمد بن أبي هاشم التوجيبي (ت.346هـ): المعروف بابن الحجام وهو فقيه حافظ توفي وترك سبعة قناطير كتب كلها بخط يده فرفعت إلى سلطان بني عبيد فأخذها ومنع الناس منها كيذا للإسلام وبغضا فيه كما يذكر ذلك المالكي في رياض النفوس، كما أن الشح في المعلومات عن علماء الدين والأدب والفكر في المغرب العربي والإسلامي عموما والجزائر والدولة الحمادية خصوصا مرده لا محالة إلى ضياع إبداعات المغاربة والجزائريين خصوصا المشهورين، إذ لم يجد أصحاب التراجم والسير سوى نزر يسير وغيض من فيض أثبتوها في كتبهم، زيادة على الحروب والفتن التي كانت تموج بها بلاد المغرب الإسلامي والأوسط خصوصا ومن تم الاستعمار المتتالي الذي دمر الإرث الثقافي للأمة الجزائرية، زيادة على هجرة العديد من علماء الدين للمشرق والأندلس وانقطاع أخبارهم .

9. المصادر والمراجع:

1.9. المصادر:

- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تح، بشار عواد معروف، 2011 م ، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، ج1.
- ابن بشكوال: الصلة، تحقيق بشار عواد ، 2010م، ط1، دار الغرب الإسلامي ، تونس .
- التنبكي أحمد بابا: نيل الإبتهاج بتطريز الذيباج، 1398هـ/1989م ، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية الليبية، طرابلس .
- ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، 2006م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- ابن حجر العسقلاني: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تح، محمد علي النجار، وعلي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج4.
- الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، 1966 م ، دون طبعة، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ابن خلدون عبد الرحمان : المقدمة ، ط1 ، تحقيق عبد السلام الشدادي ، الدار البيضاء ، المغرب .

- السيوطي عبد الرحمان: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 1399 هـ/1979 م، ط2، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، ج1.
 - الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله : ت(714 هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، محمد بن أبي شنب، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.
 - المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، 1414 هـ/1994 م، ط2، تحقيق بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان .
 - محمد بن سحنون : كتاب آداب المعلمين، 1392 هـ/1972 م، ط2، تحقيق ، حسن حسني عبد الوهاب، تعليق محمد لعروسي، تونس .
 - المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1388 هـ/1968 م، تح، إحسان عباس، دار صابر، بيروت لبنان، ج2.
 - ابن فرحون : الذبياج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح، محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع، القاهرة، مصر، ج2.
 - قاضي عياض السبتي : (ت 544 هـ) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، 1403 هـ/1983 م، ط2، تحقيق أحمد اعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط .
 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، دون طبعة، دار صادر، بيروت، 1397 هـ/1977 م.
- 2.9. المراجع :
- بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية (160-296 هـ)(777-909 م) : دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، نشر جمعية التراث بغرداية ، الجزائر ، 1414 هـ/1993 م .
 - بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1995 م ج1،
 - بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها (408-547 هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1397 هـ/1977 م .
 - الجيلالي عبد الرحمان : تاريخ الجزائر العام ، ط4 ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980 م ، ج1 .
 - شاوش محمد بن رمضان: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، طبعة باريس، 1970 م .
 - عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2 ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، 1411 هـ/1991 م .
 - عبد الله شريط ومحمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، طبع مكتبة البعث، قسنطينة، 1965 م.
 - غنيمة محمد عبد الرحيم: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية للنشر، تطوان ، 1953 م .
 - محمد عادل عبد العزيز : التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية ، 1402 هـ/1986 م .

- محمد المختار ولد أباه: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم ، إيسيسكو ، 1422 هـ / 2001 م .
 - الميلي مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تحقيق محمد الميلي ، دون طبعة ، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب ، ج 2 .
 - نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للنشر ، بيروت ، لبنان ، 1400 هـ / 1980 م .
 - نجم الدين الهنتاني : المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن ال 5 هـ / 11 م ، منشورات تبر الزمان ، تونس 2004 م .
 - اليعلاوي محمد : ديوان محمد بن هاني الأندلسي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان 1400 هـ / 1980 م .
- 3.9. الرسائل الجامعية:
- فتحة قرواز: الحياة الحضارية في الجزائر الرسمية (260-296 هـ)، مذكرة ماستر ، إشرف ميلود ميسوم ، سنة 2012/2011 م .
 - كهينة خامت وسعاد حمداوي: الحياة العلمية في الدولة الرسمية ، مذكرة ماستر ، إشراف فاتح بريكي ، جامعة البويرة ، 2014-2015 م
 - محمد نصير: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأوسط الحمادي مع دراسة وتحقيق كتاب الأنوار في معرفة الجبار ومعرفة النبي المختار محمد المصطفى (لأبي القاسم عبد الرحمان بن عبد المعطي الأصولي) حتى خلال الربع الأخير من القرن 5 هـ / 11 م ، أطروحة دكتوراه ، تاريخ ، جامعة قسنطينة 2 ، سنة ، 2022/2021 م .
 - المجلات : عبد القادر بوباية ، مقال في مجلة ، 1432 هـ / 2011 م ، طرق التدريس في المغرب الإسلامي ، مجلة عصور الجديدة فاس وبجاية نموذجا، وهران ، العدد 1 .
 - البحوث: سهى بعيون، 2013 م، التواصل الثقافي والفكري في الأندلس والمشرق، www.souhabaayoun.com

- ¹ محمد بن رمضان شاوش : الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، طبعة باريس، سنة 1970م، ص 37.
- ² ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية (160-296هـ/ 777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث بفرداية، الجزائر، 1414هـ/ 1993م، ص 282.
- ³ فتيحة قرواز: الحياة الحضارية في الجزائر الرستمية (260-296هـ)، مذكرة ماستر، إشراف ميلود ميسوم، سنة 2011/ 2012م، ص 174 فما بعدها.
- ⁴ عادل نويض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويض الثقافية للنشر، بيروت، لبنان، 140 هـ/ 1980م، ط2، ص 43؛ عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1384 هـ/ 1965م، ط2، ج1، ص 398.
- ⁵ ابن فرحون: الذبيح المذهب، تح محمد الأحمد، أبو النور، دار التراث للطبع، القاهرة، مصر، ج2، ص 399؛ ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، ط1، ج2، ص 254.
- ⁶ تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 1954م، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 204.
- ⁷ مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم، محمد الميلي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، دون طبعة، ج2، ص 168.
- ⁸ اسماعيل العربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، ش و ن ت، الجزائر، 1980م، ص 163.
- ⁹ عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (1411هـ/ 1991م)، ط2، ص 237-238.
- ¹⁰ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1967م، ج6، ص 233، 234.
- ¹¹ محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بن عكنون، 2010م، ص 190.
- ¹² اليعلاوي محمد: ديوان محمد بن هاني الأندلسي، دار الغرب الإسلامي 1994م، ط1، ص 172؛ المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1388هـ/ 1968م، ج4، ص 43.
- ¹³ عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 254.
- ¹⁴ عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص 384.
- ¹⁵ بن قربة صالح يوسف: تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ط1، ص 165.
- ¹⁶ رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها (408-547هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1397هـ/ 1977م، ص 166.
- ¹⁷ رشيد مصطفاوي: "بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، العدد 1، مجلة تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، 1981م، ص 83.
- ¹⁸ عيسى بن الذيب: الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007م، ص 141.
- ¹⁹ محمد الطمار: المرجع السابق، ص 121.
- ²⁰ راجع بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ط2، ص 73.
- ²¹ مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 187.
- ²² يعي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1995م، ط1، ج1، ص 15.
- ²³ عبد الله شريط ومحمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، طبع ونشر مكتبة البعث، قسنطينة، 1965م، ط1، ص 70.
- ²⁴ أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ط1، ص 7 فما بعدها.
- ²⁵ عبد الله شريط والميلي، المرجع نفسه، ص 23.
- ²⁶ محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 142.
- ²⁷ نفسه، ص 143.
- ²⁸ ياقوت الحموي: المرجع السابق، ج3، ص 113.
- ²⁹ المقرئ: المرجع السابق، ج2، ص 142.
- ³⁰ نفسه، ص 496.
- ³¹ موسى لقبال: طينة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، العدد 60 - 61، مطبعة البحث، 1978م، ص 98.
- ³² القاضي أبي الفضل عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تصحيح محمد سالم هاشم، دار الكتاب العلمية، لبنان، 1998م، ط1، ج2، ص 352.
- ³³ اسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 56.

- ³⁴ عبد الحميد حاجيات و آخرون : الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج1، ص437.
- ³⁵ يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 24.
- ³⁶ الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب خلال القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي، بحث في غوغل، ص4 فما فوقها.
- ³⁷ سهى بعيون: التواصل الثقافي والفكري في الأندلس والمشرق، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر، عمان، الأردن، تاريخ النشر: 2009/11/5 م، ص5.
- ³⁸ ابن خلدون: المقدمة، حققها عبد السلام الشدادى، بيت الفنون والعلوم والأداب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص283.
- ³⁹ محمد عبد الرحيم غنيم: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1953م، ص41.
- ⁴⁰ محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، 1402هـ/1986م، دون طبعة، صص 9-10.
- ⁴¹ روبر برنشييفك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى 15م، ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ط1، ج2، ص379.
- ⁴² ابن خلدون: المقدمة، صص 203، 204.
- ⁴³ حسن كامل محمد: في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970م، ص115.
- ⁴⁴ علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 2008م، ص99.
- ⁴⁵ نجم الدين الهنتاني: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م، منشورات تير الزمان، الجمهورية التونسية، 2004م، ص186.
- ⁴⁶ علاوة عمارة: المرجع نفسه، ص103.
- ⁴⁷ نفسه: ص104.
- ⁴⁸ نفسه: ص105 فما بعدها.
- ⁴⁹ عادل نويمض: المرجع السابق، صص 44-4: ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تح، محمد علي النجار وعلي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج4، ص132: الذهبي: المشتبه في الرجال، أسمائهم وأنسابهم، تح، علي محمد البجاوي، نشر الدار العلمية بدليي، الهند، 1987م، ط2، ص669.
- ⁵⁰ عادل نويمض: المرجع السابق، ص51.
- ⁵¹ الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون طبعة، 1960م، ص342.
- ⁵² ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، تح بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، ط2، مجلد1، ص135.
- ⁵³ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م، ج2، صص 47، 48 وهنا وهناك.
- ⁵⁴ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1399هـ/1979م، ط2، ج1، ص513.
- ⁵⁵ المراكشي: الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 2012م، ط1، ج3، ص368.
- ⁵⁶ عادل نويمض: المرجع السابق، ص60.
- ⁵⁷ نفسه، صص 122 - 123.
- ⁵⁸ نفسه، ص123.
- ⁵⁹ نفسه، ص147.
- ⁶⁰ نفسه، ص152.
- ⁶¹ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ط1، ج1، ص412.
- ⁶² عادل نويمض: نفس المرجع، ص198.
- ⁶³ ابن بشكوال: المرجع السابق، مجلد2، ص96.
- ⁶⁴ ابن ماکولا (ت 475هـ/ 182م): الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تصحيح، عبد الرحمان المعلي اليماني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط2، ج5، ص263.
- ⁶⁵ بن بشكوال: نفس المرجع، المجلد1، ص401.
- ⁶⁶ ياقوت الحموي: معجم البلدان، المرجع السابق، ج4، ص21.
- ⁶⁷ الذهبي: المرجع السابق، ص423.
- ⁶⁸ أحمد بابا التنيكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الذبيح، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجمهورية العربية الليبية، طرابلس، 1398هـ/1989م، ط1، ص622.
- ⁶⁹ عادل نويمض: نفس المرجع، ص347.
- ⁷⁰ نفسه، ص348.
- ⁷¹ نفسه.
- ⁷² نفسه، ص361.
- ⁷³ ابن الأبار: المرجع السابق، ج3، ص113.

- ⁷⁴ يحي بوغزني: المرجع السابق، ص 24 .
- ⁷⁵ نفسه، ص 361 .
- ⁷⁶ عبدالرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، 1384 هـ/1965 م، ط2، ج1، ص361.
- ⁷⁷ مبارك الميلي: المرجع السابق، ص167.
- ⁷⁸ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق، نزار رضا، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1384 هـ/1965 م، ط1، ص 478.
- ⁷⁹ عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص265.
- ⁸⁰ نفسه.
- ⁸¹ نفسه: ص 266 ؛ عادل نويهض: المرجع السابق، ص ص 17-18.
- ⁸² عادل نويهض: نفسه، ص ص 150-151.
- ⁸³ ابن بشكوال: المرجع السابق، مجلد2، ص232 ؛ يومهراس حميدة: طبنة في العصر الوسيط، مذكرة ماستر، تحت إشراف، الأستاذ، مسعود كواتي، والأستاذ المساعد، سايج محمود، جامعة غرداية، 1437-1438 هـ/2016-2017 م، ص62.
- ⁸⁴ عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص270؛ عادل نويهض: نفس المرجع، ص328.
- ⁸⁵ نفسه.
- ⁸⁶ نفسه، ص 271.
- ⁸⁷ فتيحة قرواز: المرجع السابق، ص212.
- ⁸⁸ عادل نويهض: نفس المرجع، ص 267.